التعليم والثقافة في دولة قطر

الدكتور عبد الغفور
الأستاذ المساعد، كلية أن. أي. أم، كلّكندي، كنور

يمكن أن نميز الواقع الثقافي في الدولة قطر بين مرحلتين. المرحلة الأولى وكانت قبل تدفق عائدات النفط، وتميزات الحياة الثقافية فيها بالحمود . وبالرغم من ذلك وجدت بعض النشاطات الفكرية بين سكان الصحراء . حيث مارس سكانها الرعي وتربية الحيوان وغيرها من الصناعات البدوية البسيطة ، وظهرت بعض الفنون التعبيرية مثل الغناء والعرضة والشعر النبطي وفي السواحل وجد ت الأنشطة القائمة على الغوص والصيد والنقل البحري والتجارة فقد برزت الفنون البحرية والشعر الشعبي.

ولعبت بعض المجالس الخاصة دوراً مهماً في الحياة الثقافية ، وكان يفد اليها الكثير من العلماء من سواحل ايران و من نجد والأحساء وغيرها من المناطق المجاورة ، وكانت تدور فيها أحاديث الفقه والأدب وتتناهل فيها الآراء المختلفة ويجتمع فيها أيضاً المهتمون بالشعر والأدب ، وكانت تدور بداخلها المباحثات الأدبية والشعرية وكان روادها يتباحثون في شؤون الأدب والشعر والتاريخ ، وشهدت هذه المجالس إقبالاً كبيراً عليها من الشعراء والمهتمين بالأدب[١].

وكانت الحياة الثقافية في هذه المجالس خاضعة للتيار التقليدي. كما أن الشعر العامي كان هو اللون الغالب في تلك الفترة لأن إنتشار الشعر الفصيح مرتبط بإنتشار التعليم من حيث المبدعين ومن حيث الجمهور[٢]. اشتهر في هذه الفترة بعض الشعراء الذين ينظمون الشعر بالعامية مثل حمد بن مبارك المالكي، سعيد بن سالم البديد ، صالح بن سلطان الكواري، عبدالله بن سعد المهندي ، علي ابن أرحمه المالكي و يوسف

١ التطور الإقتصادي والإجتماعي في قطر. د . موزه الجابر٢٠٠٢ م – ص – ٢٨٩.
٢ ملامح الشخصية الخليجية – ماهر حسن فهمي – ص- ١٠.

بن عبدالله المالكي. وكذلك كان هناك الشعر الفصيح وان كان قليلاً ، وذلك لإرتباط انتشاره بإنتشارالتعليم، انحصر الشعر الفصيح في الموضوعات التقليدية مثل المدح، الرثاء ، الغزل، الفخر.

ومن أشهر الشعراءالمنظمين للشعر بالفصحى الشاعر ابن عثيمين والشاعر أحمد بن يوسف الجابر وأحمد بن مشرف التميمي وعبدالرحمن بن درهم صاحب الكتاب الأدبي الكبير "نزهة الأبصاربطرائف الأخبار والأشعار" ومن أدباء المرحلة السابقة لإنتاج النفط الأديب عبدالرحمن بن صالح الحليفي وكان له ديوان شعر ضاع معظمه ، وله مؤلف "بستان الأكياس والأفراد من الناس" وهوعبارة عن كتاب أدبي جمع فيه مختارات من الشعر والأمثال والحكم والقصص التاريخية من كتب التراث القديم وطبع الكتاب عام ١٩٣٦[٣].

وبعد التفكك والضعف الذي أصاب الدولة الاسلامية وسقوطها في بغداد وما آلت اليه الأمة العربية من تمزق واختلاف وانقسام ، جعلت هذه المنطقة في البداية عرضة لهذه الانقسامات وفرضت الدولة العثمانية وجودها عليها في نفس الوقت بدأ الاستعمار الأوربي بمختلف أنواعه يدخل إلى هذه المنطقة، ومن ثم أصبحت هذه المنطقة فى حالة يرثى لها من التخلف الاقتصادي والفكري، فقد انشغل أهلها بالحروب الخارجية محاولون مقا ومتها وبين معارك جانبية داخلية يريد زعيم كل قبيلة أن يفرض سيطرته على القبائل الأخرى وكان لهذه الحالة المضطربة أثرها في التدهور الاقتصادي مما أدى الى تدهورثقافي وفكري نتيجة لذلك[٤].

وإذا كانت حالة الركود والجمود الفكري والثقافي قد شملت الوطن العربي بأسره في فترة معينة إلا أن هذه الحالة من التخلف قد طالت،على هذه المنطقة بسبب السياسية الاستعماريةالتي فرضتها بريطانيا على الخليج لكي تتمكن من استغلال ثروته ، ولكي يتحقق لها ذلك فقد حاولت عزلها عن العالم مما كان له أثر سئ على الحياة الثقافية والوعي القومي. فقد كانت هذه المنطقة بصفة عامة مهملة من قبل الدراسين والمؤرخين حتى العشرينات من القرن العشرين. ومن أهم الصعوبات التي يواجها الباحث عند ما يدرس هذه الفترة هي الجمود الفكري والنضوب الثقافي وعدم توافر المصادر والمراجع في هذه الفترة.

٣ التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية ١٩٨٠ – يوسف بن عبدالرحمن الخليفي . ص - ١٦٨

٤ الأدب القطري الحديث-د-محمد عبد الرحيم كافود . ص : ٥٩

إن الطابع الديني والتقليدي كان هوالغالب على الحياة الثقافية في مرحلة ماقبل إنتاج النفط وذلك لتأثر الثقافة بالتعليم الديني السائد من خلال الكتاتيب وكذلك نظرا لتأثير الوضع الاقتصادي الذي طبع الحياة بعدم الاستقرار، وأدى هذا إلى تخلف الحياة الثقافية في قطر عنها في المناطق المجاورة مثل البحرين والكويت، التي شهدت منذ العشرينات من هذا القرن حركة أدبية ويقظة فكرية نتيجة لظهورالتعليم الحديث فيهما قبل قطر بسنوات، وكذالك لوجود البنية الأدبية والصحافة المحلية والمكتبات العامة[٥].

التعليم ما بعد النفط

المرحلة الثانية وهي مرحلة ما بعد النفط ، حيث كان للنفط الدور الأكبر في النهوض الثقافي من خلال التعليم الرسمي الذي ظهر منذ بداية الخمسينيات وتطور في الستينيات والسبعينيات ، و صاحب ظهور التعليم أيضا إيفاد الطلاب للدراسة في الخارج منذ عام ١٩٥٩ وماصاحب ذلك من التأثير والتأثر على مستوى الفكر، كما أسهم في الإطلاع والانفتاح على التيارات الثقافية والأدبية التى كانت موجودة في مجتمع الدراسة كما كان الاستقدام المدرسي من الخارج خاصة من مصر وسوريا والأردن و فلسطين له، دور في التأثير الثقافي المباشر خاصة على الطلبة الذين يدرسونهم[٦].

وبعد فترة قصيرة من بدء ظهور النفط في البلاد عام ١٩٤٩ م وبعد أن أصبحت عوائد النفط تدر على البلاد المال، قام الشيخ حمد بن عبدالله باستدعاء أحد رجال التعليم من الشارقة وهو الأستاذ محمد بن على الحمود ومعه ثلاثة مدرسين ، وتم افتتاح مدرسة شبه نظامية هي (مدرسة الإصلاح المحمدية وكان المنهج المتبع في التدريس فيها هو المنهج المصري وكانت تدرس فيها العلوم إلاسلامية واللغة العربية والتاريخ والحساب وفي العام الثالث أدخلت اللغة الانجليزية[٧].

ولعل أول مدرسة نظامية أنشئت في قطر هي المدرسة التي أنشئت عام ١٩٥١ م وكانت تضم (٢٤٠) طالبًا ، وبها ستة مدرسين[٨]. وفي عام ١٩٥٦ م تشكلت وزارة التربية والتعليم، وكان أول وزير لها الشيخ خليفة بن حمد وفي العام التالي ترك الوزارة لأخيه الشيخ قاسم بن حمد الذي ظل وزيرا للتربية والتعليم حتى عام ١٩٧٦ م حين انتقل الى رحمة الله.

٥ التطورالاقتصادي والاجتماعي في قطر – د – موزة سلطان الجابر ٢٠٠٢م ص: ٣٩٢

٦ تطورالشعرالعربي الجديد بمنطقة خليج ، ماهر حسن فهمي ط قطر١٩٩٣م - ص : ١٢

٧ التعليم العام في قطر . محاضرات – للدكتور كمال ناجي – ص : ٢٠

٨ نهضة قطر ط ١٩٦٤ ص: ٣٩

وقد أنشئت أول مدرسة للبنات في عام ١٩٥٤ م وقد بلغ عدد المدارس حسب إاحصائية ١٩٧٦ م حوالي (١١٨مدرسة) منها (٥٩) مدرسة للبنات وبلغ عدد طلابها حوالي (ثلاثين ألف) طالب وطالبة في مختلف مراحل التعليم٩. كذلك اتجه الاهتمام الى التعليم المهني الذي ابتدأ في عام ١٩٦٥ م بإنشاء مدرسة الصناعة ثم افتتح المعهد الديني عام ١٩٦١ م ، وفي عام ١٩٦٢ م أنشئت دارالمعلمين والمعلمات تم معهد الإذارة في عام ١٩٦٥ م ومعهد اللغات في عام ١٩٧٢ م[١٠].

وقد توجت النهضة التعليمية في البلاد بافتتاح كليتي التربية للمعلمين والمعلمات في عام ١٩٧٣ م . والكليتان تضمان أقساما مختلفة ، ولكن كل هذه التخصصات تدور حول محور أساسي هو الإعداد التربوي لخلق المعلم المؤهل علميا وتربويا لتحمل مسؤلية التعليم في البلاد . ولا شك أن افتتاح هاتين الكليتين أثرا على الحياة الثقافية إضافة إلى كونها مرحلة تعليمية عالية في البلاد . ومما هو جدير بالذكر أن هاتين الكليتين هما نواة للجامعة القطرية. وأصبحت جامعة قطر اليوم تضم الى جانب كلية التربية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية وكلية العلوم وكلية الدراسات الإسلامية وكليةالهندسة.

وعلى هذا يمكن أن نقول إن قطر شهدت في الربع الأخير من القرن العشرين و في بداية هذا القرن نموا ملحوظا في مجالات التربية والتعليم مما له با لغ الأثر على المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة . أما حقبة السبعينات فيمكن وصفها بحقبة الثورة القطرية . ففي هذه الحقبة تضاعف عدد سكان قطر ست مرات وسكان الدوحة اثنتى عشرة مرة[١١].

الأندية الأدبية والثقافية

قامت (إدارة رعاية الشباب) بتنظيم الأندية الموجودة في قطر وكلها أندية رياضية ، ولكن الإدارة خصصت أحد هذه الأندية و هو (نادي الجسرة) لكي يكون ناديا تقافيا واجتماعيا ويهتم بتنمية المواهب الفنية وإحياء الندوات الثقافية[١٢].وهناك أيضا بعض الأندية والمراكزالثقافية الموجودة.ولعل أهم هذه الأندية كان:

---

٩ حصاد الموسم الثقافي – الجزء الثالث (وزارة التربية) ص : ٢٦٠

١٠ المجتمع القطري – د جهينة سلطان سيف العيسى ١٩٨٢ – ص : ١٢٧

١١ قطر بين الماضي والحاضر . مصطفى مراد الدباغ ،١٩٦١م ط بيروت ص: ٧٦

١٢ الأدب القطري الحديث – د محمد عبدالرحيم كافود . ص : ٨١

١. نادي المكتبة الإسلامية

فهذا كان في عام ١٩٥٣ م حيث تقدم عدد من الشباب بطلب لافتتاح ناد ثقافي ولكن قوبل طلبهم بالرفض ، ثم تم تعديل طلب الترخيص باسم المكتبة الإسلامية.

٢. نادي الطليعة

تأسس هذا النادي في عام ١٩٥٩ م ورأس النادي على خليفة الكواري ، أما أهم الانشطة التي كان يمارسها النادي فكانت الندوات والمحاضرات والجلسات الحوارية .

٣. نادي كبار المؤظفين (نادي الخليج)

تأسس هذا النادي في أواخر الخمسينات ١٩٥٧ م . وكان معظم أعضائه من الإنجليز العاملين في شركات النفظ وبعض المواطنين وكان اسمه في البداية نادي الصقر (Doha Falcon) وكان برأسه إنجليزي . ثم تغير اسمه الى نادي الخليج عندما كثر المترددين عليه من القطريين .ورأسه خلال فترة من الفترات الشيخ جاسم بن حمد وزير المعارف ،وكانت تمارس فيه الأنشطة الثقافية والفنية والاجتماعبة والإلعاب الرياضية الخفية ، وكان النادي يضم مكتبة وقام بإصدار مجلة حائط ، كما كان يعرض أفلاما سينمائية[١٣].

٤. نادي الجزيرة

أنشئ هذاالنادي في عام ١٩٦٠ م وكان يؤمه عمال الشركة من قطريين من فئة العمال اليوميين . وكانت تمارس فيه أنشطة ثقافية وفنية اجتماعية ، وتأسست فيه فرقة مسرحية وغنائية قدمت بعض الأعمال المسرحية مثل مسرحية "بداية ونهاية " و مسرحية "عرب فلسطين" و مسرحية "نصيحة أب " وهي مسرحية اجتماعية١٤. و من الأندية التي ظهرت خلال تلك الفترة ولها علاقة بالانشطة الثقافية كان أيضا نادي اتحاد العرب هو ناد ثقافي اجتماعي أسسه أسعد نصر. و من الأندية أيضا نادي النجاح الذي أنشئ في بداية الستينات وكان له نشاط ثقافي واجتماعي بالإضافة إلى نشاط الرياضي .

المركز الثقافي

وفي عام ١٩٧٦ م افتتح المركز الثقافي الذي عرف فيما بعد باسم «إدارة الثقافة والفنون»[١٥]. حيث أن إنشاء مثل هذا المركز كان من أهم العوامل التي ساعدت على

١٣ التطورالاقتصادي والاجتماعي في قطر – موزة سلطان الجابر – ص : ٣٩٤

١٤ التطور الاقتصادي والاجتماعي في قطر – د موزة سلطان الجابر. ص :٣٩٤

١٥ الأدب القطري الحديث – د محمد عبدالرحيم كافود . ص :٧٢

تقدم الحياة الثقافية والفكرية في البلاد. وإن هذا المركز يقوم في الوقت الحاضر بدور فعال في تنشيط الحركة الثقافية والأدبية في مختلف المجالات فهو الى جانب المحاضرات والندوات الثقافية التي يقيمها بين آن وآخر. يقوم كذالك بالأعداد لنشر بعض الكتب والدواوين التي تتصل بالتراث القطري ومن أهمها :

العمل على طبع ديوان محمد بن عبدالوهاب الفيحاني واستدراك بعض أشعاره التي لم تجمع في الطبعات السابقة للديوان .

الإعداد لطبع كتاب حول التراث الشعبي في قطر. وتحتوي (إدارة الثقافة والفنون) على عدة أقسام أهمها :١. نادي الشعر النبطي (الشعبي)، ٢.المكتبة العامة وتحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب الأدبية والثقافية في الفن والموسيقى والمسرح، ٣.قسم المسرح ، ٤. وقسم الموسم الثقافي[١٦].

المكتبات العامة

لم تعرف قطر المكتبات العامة خلال المرحلة السابقة لإنتاج النفظ عدا المكتبات الخاصة التي كان موجودة في المجالس، ولكن بعد تدفق النفظ وظهورالتعليم الحديث تغير الوضع وظهرت الحاجة لوجود مكتبة عامة ولذلك أنشأت أول مكتبة في عام ١٩٥٤ م . وقد إنشاها حاكم قطر في تلك الفترة الشيخ علي، واشترى لها مجموعة ضخمة من الكتب من الهند١٧ و في عام ١٩٦٢ ضمت المكتبة العامة ومكتبة المعارف مكونة دارالكتب القطرية١٨ وخصصت بها قاعة كبيرة للمطالعة، وكان بها بالاضافة الى الكتب مجموعة من المخطوطات النادرة و كذالك المجلات والصحف والروايات .

وقامت الدار بطبع وتوزيع بعض كتب التراث والكتب الدينية والكتب الأدبية ، و كذالك قامت بجمع أشعار الشعراء المحليين وطبعها في دواوين مثل روض انجيل والخليل ديوان الشاعر عبدالجليل الطباطباعي وديوان بن قاسم ثاني (نبطي) ، ديوان الفيحاني (نبطي) ديوان الخليفي (فصيح نبطي) القطريات دوحة البلابل لعبدالرحمن المعاودة ، وديوان لسان الحال ، وديوان أحمد بن مشرف و كتاب «نزهة الأبصار بطرائق الأخيار

١٦ الأدب القطري الحديث – د محمد عبدالرحيم كافود . ص :٧٢-٧٣

١٧ التطور الاقتصادي والاجتماعي في – د موزة سلطان الجابر .٣٩٥

١٨ دارالكتب القطرية في ٢٢ عاما. وزارة التربية التعليم ١٩٨٥ – ص : ١٨

والأسفار» لعبدالرحمن بن درهم[١٩].

ووجدت بجانب دارالكتب بعض المكتبات الخاصة كما وجدت مكتبات تتولى بيع الكتب والصحف والمجلات العربية والأجنبية التي تصدر آنذاك ومن أشهرها مكتبة التلميذ ومكتبة العروبة، ومكتبة قطر الوطنية و دارالثقافة، و مؤسسة دارالعلوم .

الصحافة

لم تظهر الصحافة المحلية في قطر إلا بعد فترة متأخرة جدا عام ١٩٦٩. كما كان الحال بالنسبة للتعليم والمنتديات والمكتبات وغيرها. وارتبط ظهور الصحافة في قطر بوزارة المعارف وظهور التعليم الحديث و كذالك بظهور مؤسسات الدولة. وصدرت أول مجلة قطرية هي (مجلة العروبة) التي أصدرها عبدالله حسين نعمة في عام ١٩٦٩ م، وكانت مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية، و في عام ١٩٦٩ م صدرت مجلة الدوحة عن إدارة الإعلام بهدف ربط المستمعين بإذاعة قطر . وصدرت في البداية كمجلة شهرية إعلامية لتغطيه نشاط الدولة الرسمي وعرض برامج الإذاعة . ولكن في عام ١٩٧٢ بدأت المجلة في التحول الى مجلة سياسية ثقافية. كما أنه وزارة الإعلام قامت بإصدار مجلة أخرى في عام ١٩٧٦ هي مجلة(الخليج الجديد) وهي مجلة شهرية. وصدرت مجلة أسبوعية وهي (مجلة العهد) في عام ١٩٧٤ م. وإضافة لمجلات ذوات طوابع خاصة فيها ما يهتم شؤن المرأة مثل مجلة الجوهر. مجلة (الصقر) عن القوات المسلحة و (ديارنا والعالم) و جريدة يومية (العرب) تصد عن مؤسسة العروبة .

الندوات والمحاضرات

الندوات والمحاضرات الثقافية في قطربدأت تقريبا في أوائل الستينات ولكنها لم تكن منتظمة . ولكنها في بداية السبعينات أخذت تظهر بشكل واضح ومنظم حيث قامت وزارة التربية والتعليم عام ١٩٧٣ بتنظيم هذه المحاضرات. ولاشك أن لهذا العمل دورا كبيرا في نشرالوعي الثقافي وتهيئة الجو الفكري ونموه في البلاد. وهكذا نرى أن بداية السبعينات كانت نقطة تحول ملموس في ظهور عوامل فعالة في دفع الحركة الثقافية والأدبية بحو النمو السريع والتطور المستمر على أساس فكري متكامل ووعي ثقافي سليم.

الملخص:

الدولة قطر كانت بصفة عامة مهملة من قبل الدارسين والمؤرخين حتى العشرينات

١٩ المرجع السابق . ص : ٣٠

من القرن العشرين. وعندما بدأت تتفجر آبار النفط في هذه المنطقة لفتت أنظار العالم لها وبدأوا ينظرون إليها بجدية واهتمام بالغة ، وأصبحت محط أنظار الدارسين والباحثين. ومن أهم الصعوبات التي يواجه الباحث عندما يدرس هذه الفترة هي الجمود الفكري والنضوب الثقافي وعدم توافر المصادر والمراجع التي عن هذه الفترة. الواقع الثقافي في دولة قطر تنقسم إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى وكانت قبل تدفق عائدات النفط ، وتميزات الحياة الثقافية فيها بالجمود. المرحلة الثانية هي مرحلة ما بعد النفط ، حيث كان للنفط الدور الأكبر في النهوض الثقافي من خلال التعليم الرسمي الذي ظهر منذ بداية الخمسينات في القرن العشرين وتطور في الستينات والسبعينات. وبعد فترة قصيرة من بدء ظهور النفط في البلاد عام ١٩٤٩م وبعد أن أصبحت عوائد النفط تدر على البلاد المال أنشئت المدارس والكليات والمكتبات والأندية الأدبية والثقافية وظهرت الصحافة المحلية أيضا. ولا شك في أن للنفط أثرا كبيرا في نشر الوعي الثقافي وتهيئة الجو الفكري في البلاد ، مما كان له أثره في الشعر ، ونتيجة لذلك ظهرت أجيال جديدة من الشعراء مختلفي الإتجاهات والرؤي.

المصادر والمراجع

١. التطور الإقتصادي والإجتماعي في قطر. د . موزه الجابر٢٠٠٢ م.
٢. ملامح الشخصية الخليجية – ماهر حسن فهمي.
٣. التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية ١٩٨٠ – يوسف بن عبدالرحمن الخليفي.
٤. الأدب القطري الحديث – د. محمد عبد الرحيم كافود.
٥. تطورالشعرالعربي الجديد بمنطقة خليج - ماهر حسن فهمي ط قطر١٩٩٣م
٦. التعليم العام في قطر . محاضرات – للدكتور كمال ناجي
٧. نهضة قطر ط ١٩٦٤
٨. حصاد الموسم الثقافي – الجزء الثالث (وزارة التربية).
٩. المجتمع القطري – د. جهينة سلطان سيف العيسى ١٩٨٢م.
١٠. قطر بين الماضي والحاضر . مصطفى مراد الدباغ ،١٩٦١م ط بيروت.
١١. دارالكتب القطرية في ٢٢ عاما. وزارة التربية التعليم ١٩٨٥م.